يوسف إدريس

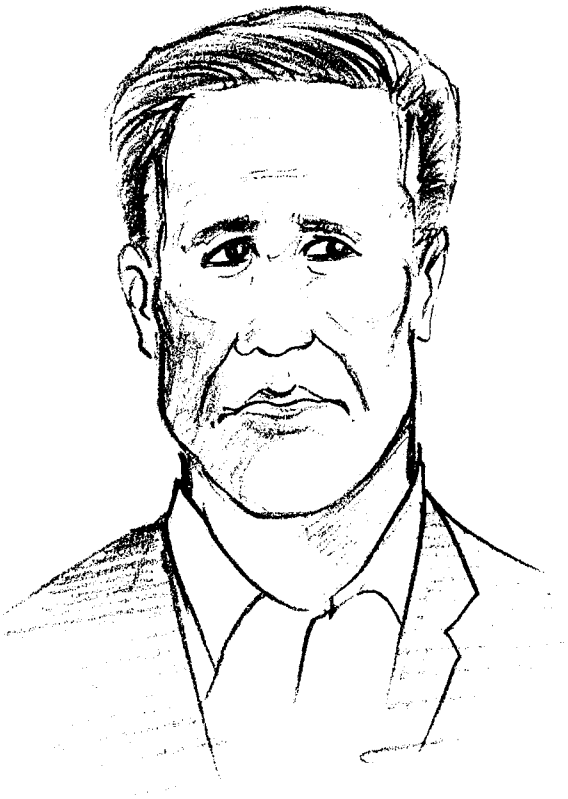

الأديب العبقرى

يوسف إدريس روائى وأديب معروف أمتع العالم العربى بمجموعات قصصية ومسرحيات ومقالات عظيمة عاشت أجيالاً وعبرت عن الحياة الواقعية بتفاصيلها ، وعمق أحداثها ، فهو روائى وأديب موهوب قوى الملاحظة ، عنيد، متحمس لكل ما هو جديد.

ولد الدكتور يوسف إدريس فى شهر مايو ١٩٢٧ بقرية بمحافظة الشرقية، أنهى دراسته الثانوية ، وكان من المتفوقين والتحق بكلية الطب جامعة فؤاد الأول ـ القاهرة حاليًا ـ وعرف بتفوقه وكثرة أسئلته.

عشق يوسف إدريس الأدب ،وكتابة القصة ، منذ صغره ، على الرغم من تفوقه فى دراسته بكلية الطب إلا أنه تفوق فى كتابة القصة وقد نشرت أولى قصصه فى مجلة روز اليوسف عام ١٩٤٩ بعنوان " لعنة الجبل " ، ولكنه اعتبرها تجربة غير مكتملة .

وفى الجامعة توطدت علاقته بمجموعة من الأصدقاء من عشاق الأدب مثل: د. مصطفى محمود ، وصلاح حافظ ، كما شارك أيضًا فى إصدار مجلتى "طالب طب " و " الجميع " وفصل يوسف مدة عام كامل من الكلية بسبب مقاله العنيف الذى انتقد فيه أساتذة الجامعة لكنه عاد وواصل دراسته مرة أخرى .

تخرج يوسف إدريس فى الجامعة عام ١٩٥١ وقرر أن يبدأ حياته المهنية، وأن يصبح كاتبًا وهذا القرار حول وجه الكتابة العربية لأمد طويل.

أراد يوسف إدريس أن يصنع شكلاً جديدًا للقصة القصيرة خلافًا لما كانوا يكتبون ما أسماه بالقصة الصحفية والتى كان من أبرز روادها فى ذلك الوقت الأساتذة : محمود تيمور ، وسعد مكاوى ، وزكريا الحجاوى ، ومحمود كامل، ويوسف جوهر ، وإبراهيم الوردانى .

بدأت أعمال د . يوسف إدريس الأدبية تأخذ طريقها إلى الانتشار، ففى عام ١٩٥٤م نشر أولى مجموعاته القصصية " أرخص ليالى " وكانت بمثابة ميلاد لعملاق الأدب ، وتوالت أعماله من قصة قصيرة إلى رواية ومسرحية، ومقالات تناول فيها أحوال الأمة العربية ، بوجه عام وأحوال مصر بوجه خاص، ومن أبرز أعمال يوسف إدريس (قصة حب) ، (أليس كذلك) ، (البطل) ، (حادثة شرف) ، (النداهة) ، (الفرافير) ، (البهلوان) ، البيضاء) ، (اكتشاف قارة)،(جبرتى الستينيات) ، (مفكرة يوسف إدريس) وغيرها من الأعمال التى طورت أسلوب القصة القصيرة ، وغيرت شكل المسرحية مما جعل يوسف إدريس أديبًا عبقريًا.

وسر نجاح يوسف إدريس وتواصله مع القراء أنه كان دائمًا يبحث عن الحقيقة فى المجتمع ، ويكتب بواقعية شديدة ، فكان يجلس على المقاهى مثلاً يلعب الورق مع باعة الصحف ، أو يركب " لوريًا " مع عمال التراحيل ويبدأ بعد ذلك بكتابة قصة عن حياة هؤلاء الأشخاص ونظراتهم للمجتمع والحياة من حولهم .

أما عن المرأة فى حياة يوسف إدريس فهو كأى فنان مبدع لعبت دورًا مهمًا فى مشواره الأدبى .

فى أثناء الحرب العالمية الثانية سافر يوسف إدريس لأول مرة إلى أوروبا وهناك قابلها .. فتاة مكسيكية جميلة ، أحبها وتزوجها وعاد بها إلى مصر ولكن تم الانفصال سريعًا لأنها أرادت أن تنتقل هى وزوجها إلى أوروبا ليعيشا مع والدها الفنان العالمى " ديجو ريفيرا" ولكن أمام رفض يوسف إدريس وإصرارها تم الانفصال .

وبما أن الكاتب لا يستطيع أن يفصل بين حياته الشخصية وحياته المهنية، نجد أن قصة زواجه من الفتاة المكسيكية أثرت على كتابته لرواية " البيضاء " عندما نقرأ هذه الرواية نجد بعض الأحداث التى عاشها مع زوجته المكسيكية ولكن بإضافة بعض التغيير والحبكات الدرامية.

وبعدها بعدة سنوات قابل يوسف إدريس حب حياته وهى السيدة " رجاء الرفاعى " زوجته وأم أبنائه الثلاثة سامح ، وبهاء ، ونسمة .

فتاة صغيرة تعلمت بمدارس فرنسية ، تقرأ أخبار الموضة ، وتلتقط من الجرائد بعض الأخبار قابلته عند أحد أقاربها، أعجبت به إعجابًا شديدًا وكان بالنسبة لها فارس الأحلام ، وتم الزواج سريعًا فى عام ١٩٥٧م ، كانت السيدة " رجاء " نعم الزوجة المخلصة التى ساندت زوجها كثيرًا ووقفت بجانبه أمام عدة أزمات صحية ، شخصية ، ومهنية ، لم يكن

زواجهما مفروشًا بالورود ولكنه كان طريقًا صعبًا ، بذلت فيه مجهودًا حتى تصل به إلى بر الأمان .

فقد كان يوسف إدريس متناقضًا أحيانًا فهو مرة حنون، وعطوف، ومرة قاس، فقد كان يجمع بين شخصيتين : الطبيب والأديب، ولكن بمرور السنوات استطاعت زوجته بذكائها الشديد أن تتفهم طبيعته ، وتصل إلى مستواه الفكرى بالقراءة والاطلاع حتى استطاعت أن تجعله يأخذ رأيها فى كل قصة ينتهى من كتابتها .

واحتوت السيدة " رجاء " الأديب العبقرى ، أعطته مساحة واسعة من الحرية لإدراكها أن الفنان لكى يبدع يحتاج قدرًا من الحرية الشخصية ، تحملت السيدة " رجاء " نزواته العابرة بصبر وحكمة ، وحافظت على الأديب وعلى بيتها السعيد ، وكانت تردد دائمًا :

" يوسف قيمة أدبية كبيرة ، وأنا أحمى هذه القيمة وأرعاها ، إنه فنان مغامر ، متطلع دائمًا إلى المجهول ، ويندفع إلى مآزق خطرة ولكنه فى النهاية طيب القلب .. داخله نظيف " .

وظلت حياتهما الزوجية سنوات وسنوات يحيط بها الوفاق والجو الأسرى الذى وفر للدكتور يوسف إدريس المناخ الخصب للإبداع .

وفى هذه الأثناء كان يوسف إدريس يمضى فى طريقه المهنى. ففى عام ١٩٥٩ أنهى ارتباطه الوظيفى بوزارة الصحة ، وعين صحفيًا بجريدة "الجمهورية " واحترف كتابة القصة والمقال واليوميات بها ، كما سافر إلى الجزائر عام ١٩٦١ لتغطية حرب التحرير الجزائرية ، ثم عاد إلى ممارسة مهنة الطب ، فافتتح عيادة خاصة للأمراض الباطنية ثم عيادة للأمراض العصبية والنفسية إلا أنه قام بإغلاقها عام ١٩٦٧ ثم انتقل للعمل فى وزارة الثقافة .

وأخيرًا انضم إلى جريدة " الأهرام " وواصل الكتابة فيها حتى النهاية.